٩- كتَاب الاعْتِكَاف

٢٣٢- باب فضل الاعتكاف

الحديث رقم (١٢٧٠)

١٢٧٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

بني الحديث علي الأسلوب الخبري، حيث يخبر الأمة عن وضع الرسول الكريم في عبادته لله تعالي، واستخدام كان للرجوع في الزمان وتقرير العادة في الفعل أي أن هذا حاله في كل سنة في آخر شهر رمضان، والفعل المضارع: "يعتكف"، يدل علي استمرارية النبي ﷺ في هذا العمل حتى فارق الدنيا. و"الاعتكاف" يأتي من مادة "العكوف" أو "عكف" وهذا يوحي بأهمية ما يعكف عليه من ذكر الله تعالي، أو قراءة للقرآن، أو مجلس للعلم النافع، أو تسبيح أو تهليل للواحد الأحد -جل في علاه-. وجعل اعتكافه في "العشر الأواخر من رمضان" تحريا لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر خالية منها. و"من" في قوله: "من رمضان" للتبعيض. وإذا كان رسول الله الذي غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر فعل ذلك؛ فالأولي بالمؤمن أن يفعله. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم الاعتكاف: أجمع الفقهاء على استحباب الاعتكاف وأنه ليس بواجب،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٥) واللفظ له، ومسلم (١/١١٧١).

وأنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان[١].

٢- هل يشترط الصيام لصحة الاعتكاف:

ذهب الحنفية[٢] والمالكية في المشهور، والشافعي في قول قديم، والحنابلة في رواية، وابن عمر، وابن عباس، وعائشة، والزهري، والليث، والثوري، والحسن بن يحيى إلى اشتراط الصيام لصحة الاعتكاف[٣].

واستدلوا على ذلك بما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((لا اعتكاف إلا بصوم)). ويناقش هذا بأن هذا الحديث موقوف على السيدة عائشة، ومن رفعه إلى النبي ﷺ فقد وهم، ولو صح فالمراد به الاستحباب فإن الصوم فيه أفضل[٤]. كما استدلوا بما روي عن ابن عمر "أن عمر جعل عليه أن يعتكف في الجاهلية، فسأل النبي ﷺ فقال: اعتكف وصم".

ويناقش هذا بأن هذا الحديث تفرد به ابن بديل وهو ضعيف، قال أبو بكر النيسابوري هذا حديث منكر[٥].

وذهب الشافعي في الجديد والحنابلة في المشهور إلى عدم اشتراط الصيام لصحة الاعتكاف روي ذلك عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن وعطاء وطاووس[٦]. واستدلوا على ذلك بما روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إني نذرت

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٨/٢، حاشية الدسوقي ٥٤١/١، مواهب الجليل ٤٦٤/٢، مغني المحتاج ١٨٨/٢، المغني ٦٣/٣، شرح صحيح مسلم ٦٧/٨.

(٢) وذلك في الاعتكاف الواجب، أما اعتكاف التطوع ففي ظاهر الرواية ليس بشرط، وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه شرط، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٩/٢.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٩/٢، حاشية الدسوقي ٥٤٢/١، مغني المحتاج ١٩٣/٢، المغني ٦٤/٣.

(٤) المغني ٦٥/٣.

(٥) المغني ٦٥/٣.

(٦) مغني المحتاج ١٩٣/٢، المغني ٦٤/٣.

في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال النبي ﷺ أوف بنذرك ولو كان الصوم شرطًا لما صلح اعتكاف الليل لأنه لا صيام فيه"[١]. ولأنه عبادة تصح في الليل فلم يشترط له الصيام كالصلاة[٢]. ولأن إيجاب الصوم حكم لا يثبت إلا بالشرع ولم يصح فيه نص ولا إجماع[٣].

والراجح هو رأي الشافعية والحنابلة القائل بعدم اشتراط الصوم لصحة الاعتكاف وذلك لقوة دليله، ومناقشته لدليل المخالف.

٢-حكم اشتراط المسجد لصحة الاعتكاف:

ذهب جمهور الفقهاء (المالكية، والشافعية، والحنابلة) إلى أنه لا يصح اعتكاف الرجل والمرأة إلا في المسجد، وأنه لا يصح الاعتكاف في غيره[٤]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[٥] والمراد به المواضع التي بنيت للصلاة فيها وموضع صلاتها في بيتها ليس بمسجد، لأنه لم يبن للصلاة فيه وإن سمي مسجدًا مجازًا[٦].

ولأن الاعتكاف قربة يشترط لها المسجد في حق الرجل فيشترط في حق المرأة كالطواف[٧].

وذهب الحنفية إلى أن المسجد شرط في صحة الاعتكاف بالنسبة للرجل، أما المرأة فيجوز لها أن تعتكف في مسجد الجماعة أو مسجد بيتها، ومسجد بيتها أفضل[٨]

---

(١) المغني ٦٥/٣.

(٢) المغني ٦٥/٣.

(٣) المغني ٦٥/٣.

(٤) حاشية الدسوقي ٥٤٢/١، مغني المحتاج ١٨٩/٢-١٩٠، المغني ٦٦/٣-٦٧، شرح صحيح مسلم ٦٨/٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٦) المغني ٦٧/٣.

(٧) المغني ٦٧/٣.

(٨) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٣/٢.

واستدلوا على ذلك بأن مسجد بيتها موضع فضيلة صلاتها فكان موضع اعتكافها كالمسجد في حق الرجل[١].

ويناقش هذا بأنه لا يصح قياس الاعتكاف على الصلاة، فإن صلاة الرجل في بيته أفضل، ولا يصح اعتكافه فيه[٢].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل بأن المسجد شرط لصحة اعتكاف الرجل والمرأة على السواء، لأن أزواج النبي ﷺ اعتكفن في المسجد مع المشقة في ملازمته، فلو جاز في البيت لفعلنه[٣].

المضامين الدعوية [٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شعور النبي ﷺ بدنو أجله واستكثاره من عمل الخير.

رابعًا: من آداب المدعو: استحباب الخلوة والتفرغ للعبادة.

أولاً – من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان:

يتضح هذا من الحديث (كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان)، وقوله: (كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله)، وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: مواظبته ﷺ على الاعتكاف تدل على أنه من السنن المؤكدة وقد روى ابن

---

(١) المغني ٦٧/٣، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٣/٢.

(٢) المغني ٦٧/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦٨/٨.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٧٠ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٧١، ١٢٧٢.

المنذر عن ابن شهاب أنه كان يقول: عجبًا للمسلمين، تركوا الاعتكاف والنبي ﷺ لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه الله"[١].

قال القاضي عياض: (وفيه استحباب كونه في العشر الأواخر من رمضان، لمواظبة النبي ﷺ على ذلك لقوله: "كان يعتكف" وأكثر ما يستعمل هذا فيما كان يداوم عليه، مع ما دلت عليه نصوص الآثار من تَكْرَاره، ولأن ليلة القدر مطلوبة في تلك العشر)[٢].

وقال القرطبي: (وإدامته ﷺ الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان إنما كان لمَّا أُبين له أن ليلة القدر فيه، وإلا فقد اعتكف في العشر الأول وفي الوسط على ما تقدم من الأحاديث)[٣].

قال ابن رجب الحنبلي: (وإنما كان النبي ﷺ يعتكف في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر، قطعًا لأشغاله، وتفريغًا لباله، وتخليًا لمناجاة ربه وذكره ودعائه، وكان يحتجر حصيرًا، يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في اعتكاف العشر الأواخر من رمضان:

حيث جاء في الحديث: (كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده)، وفي اعتكاف زوجاته ﷺ بعده دليل على ضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥].

---

(١) فتح الباري ٤/٣٣٤.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/١٥١،

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/٢٤٨.

(٤) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٣٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

قال القاضي عياض: "والاعتكاف معناه: اللزوم والإقامة، ولما كان المعتكف ملازمًا للعمل بالطاعة مدة اعتكافه لزمه هذا الاسم، وهو في عرف الشرع اللزوم على طاعة مخصوصة، ويسمى أيضًا جِوَارًا. وأما أحاديث اعتكاف النبي ﷺ ففيها أنها عبادة مرغبٌ فيها اقتداء بفعل النبي ﷺ ليست بواجبة، وقد أجمع المسلمون على ذلك فيها، وأنه يصح أن تكون بصوم، وإن لم يكن مشترطًا لها ومختصًا بها لاعتكافه في رمضان فالصوم مختص به، ولا خلاف في هذا الاعتكاف للتطوع به، وفي هذه الأحاديث جواز الاعتكاف في رمضان وشوال ويقاس عليهما غيرهما من الشهور، وجوازه أول الشهر ووسطه وآخره لفعل النبي ﷺ ذلك.

ولا خلاف أنه لا حد لأكثره لمن نذره، ولا لأقله واستحب أن يكون أكثره عشرة أيام اقتداء بالنبي ﷺ واختلف في أقله، وعن مالك رضي الله عنه في ذلك روايتان قال: (أقله يوم وليلة، وقال: عشرة أيام، وذلك فيمن نذر اعتكافًا مبهمًا)[1].

وقال القرطبي: "الاعتكاف في اللغة: هو ملازمة الشيء والإقامة فيه وهو في الشرع: ملازمة طاعة مخصوصة على شرط مخصوص، في موضع مخصوص، وأُجمع على: أنه ليس بواجب وهو قربة من القرب، ونافلة من النوافل، عمل بها رسول الله ﷺ وأصحابه وأزواجه رضي الله عنهم، ويكره الدخول فيه لمن يخاف عليه العجز عن الوفاء بحقوقه"[2].

جاء في فتح الملهم: " والاعتكاف أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب وعلى أنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان، ومذهب الشافعي وأصحابه وموافقيهم أن الصوم ليس بشرط لصحة الاعتكاف، بل يصح اعتكاف المفطر، ويصح اعتكاف ساعة واحدة ولحظة واحدة، وضابطه عند أصحابنا: مُكْثٌ يزيد على طمأنينة الركوع أدنى زيادة، هذا هو الصحيح وفيه خلاف شاذ في المذهب، ولنا وجه: أنه يصح اعتكاف المار في المسجد من غير لبث، والمشهور الأول، فينبغي لكل جالس في المسجد

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٥٠/٤ - ١٥١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٤٠/٣.

لانتظار صلاة أو لشغل آخر من آخرة أو دنيا، أن ينوي الاعتكاف فيحسب له ويثاب عليه ما لم يخرج من المسجد، فإذا خرج ثم دخل جدد نية أخرى، وليس للاعتكاف ذكر مخصوص ولا فِعْل آخر سوى اللبث في المسجد بنية الاعتكاف.

ولو تكلم بكلام دنيا أو عمل صنعة من خياطة أو غيرها لم يبطل اعتكافه، وقال مالك وأبو حنيفة والأكثرون: يشترط في الاعتكاف الصوم فلا يصح اعتكاف مفطر، واحتجوا بهذه الأحاديث، واحتج الشافعي باعتكافه ﷺ في العشر الأول من شوال[1]، وبحديث عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلة في الجاهلية فقال: ((أوف بنذرك))[2] ورواه البخاري ومسلم. والليل ليس محلاً للصوم، فدل على أنه ليس بشرط لصحة الاعتكاف.

وفي هذه الأحاديث أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد، لأن النبي ﷺ وأزواجه وأصحابه رضي الله عنهم إنما اعتكفوا في المسجد مع المشقة في ملازمته، فلو جاز في البيت لفعلوه ولو مرة لا سيما النساء لأن حاجتهن إليه في البيوت أكثر، وهذا الذي ذكرناه من اختصاصه بالمسجد وأنه لا يصح في غيره هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وداود والجمهور سواء الرجل والمرأة، وقال أبو حنيفة: يصح اعتكاف المرأة في مسجد بيتها وهو الموضع المهيأ من بيتها لصلاتها، قال: ولا يجوز للرجل في مسجد بيته، وكمذهب أبي حنيفة قول قديم للشافعي ضعيف عند أصحابه، وجوزه بعض أصحاب مالك وبعض أصحاب الشافعي للمرأة والرجل في مسجد بيتهما، ثم اختلف الجمهور المشترطون المسجد العام، فقال الشافعي ومالك وجمهورهم: يصح الاعتكاف في كل مسجد. وقال أحمد: يختص بمسجد تقام الجماعة الراتبة فيه. وقال أبو حنيفة: يختص بمسجد تصلى فيه الصلوات كلها. وقال الزهري وآخرون: يختص بالجامع الذي تقام فيه الجمعة. وأجمعوا على أنه لا حدّ لأكثر الاعتكاف"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٣٣، ومسلم ١١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٢، ومسلم ١٦٥٦.

(٣) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ٦/٢٦٨.

قال النووي: "ويسمى الاعتكاف جوَارًا، وقد دلت الأحاديث على استحباب الاعتكاف وتأكيد استحبابه في العشر الأواخر من رمضان، وقد أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب وعلى أنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان"(١).

قال ابن رجب: "والخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد، خصوصًا في شهر رمضان، وخصوصًا في العشر الأواخر منه، كما كان النبي ﷺ يفعله فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه فما بقي له هم سوى الله، وما يرضيه عنه"(٢).

قال ابن القيم: "ومقصود الاعتكاف وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه، والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب، وفطرته فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعدّه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه فهذا هو مقصود الاعتكاف الأعظم"(٣).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: شعور النبي ﷺ بدنو أجله واستكثاره من عمل الخير.

حيث جاء في الحديث: (فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا)، قال ابن حجر: "والسبب في ذلك أنه ﷺ علم بانقضاء أجله فأراد أن يستكثر من أعمال الخير ليبين لأمته الاجتهاد في العمل، إذا بلغوا أقصى العمل ليلقوا الله على خير أحوالهم، وقيل السبب فيه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين، فلذلك اعتكف قدر ما كان

---

(١) شرح صحيح مسلم ٧٢٨.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٤٨.

(٣) زاد المعاد ٢/٨٧.

يعتكف مرتين"[١].

ومما لا شك فيه، أن واجب المسلم أن يستزيد من أعمال الخير لتكون نجاته في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[٣].

قال السعدي: (والأمر بالاستباق إلى الخيرات، قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وجهاد ونفع متعد وقاصر)[٤].

ووصف الله المؤمنين بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٥].

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي . وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ. وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا. وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا. وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))[٦].

رابعًا – من آداب المدعو: استحباب الخلوة والتفرغ للعبادة:

إن المسلم يحتاج ما بين الحين والآخر إلى الاختلاء بنفسه، وخلو قلبه من الشواغل

---

(١) فتح الباري ٤/٣٣٤.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٥.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٦) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥ واللفظ له.

الدنيوية للتفرغ لعبادة ربه، ويستنبط هذا من سياق الأحاديث والإخبار فيها بأن النبي ﷺ كان يحرص على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان.

جاء في الموسوعة الفقهية: "وحكمة الاعتكاف، أن الاعتكاف فيه تسليم المعتكف نفسه بالكلية إلى عبادة الله تعالى، لطلب الزلفى، وإبعاد النفس من شغل الدنيا التي هي مانعة عما يطلبه العبد من القربى، وفيه استغراق المعتكف أوقاته في الصلاة إما حقيقة وإما حكمًا، لأن المقصد الأصلي من شرعية الاعتكاف انتظار الصلاة في الجماعات، وتشبيه المعتكف نفسه بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون"[1].

وجاء فيها أيضًا عن الخلوة: "الخلوة بمعنى الانفراد بالنفس في مكان خال، الأصل فيها الجواز، بل قد تكون مستحبة إذا كانت للذكر والعبادة، ولقد حبب الخلاء إلى النبي ﷺ قبل البعثة، قال النووي: "الخلوة شأن الصالحين، وعباد الله العارفين"[2].

وقال ابن قدامة: (وأما العزلة فمن فوائدها الفراغ للعبادة، والاستئناس بمناجاة الله سبحانه، فإن ذلك يستدعي فراغًا، ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إلى ذلك خصوصًا في البداية، قيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بهم الزهدُ والخلوة؟ قال: إلى الأنس بالله. وقال أويس القرني رضي الله عنه: ما كنت أرى أن أحدًا يعرف ربه فيأنس بغيره. وأعلم أن من تيسر له بدوام الذكر الأنس بالله، أو بدوام الفكر تحقيق معرفة الله، فالتجرد لذلك أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة"[3].

إن الخلوة والتفرغ للعبادة تصفي قلب المؤمن من الشواغل، وتجعله يُقْبِل على العبادة والطاعة، ومن ثم كان أنسب الأوقات لذلك شهر رمضان خاصة في العشر الأواخر منه كما كان يفعل النبي ﷺ.

"إن من أبرز الآثار التي يتركها الصوم بالصائم، ازدياد تعلقه بالخير، وشغفه

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٠٧/٥.

(٢) المرجع السابق ٢٦٦/١٩.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص ١١٩.

بالعبادة وتلاوة القرآن، ولهذا كان العشر الأواخر من رمضان، وهي الفترة التي تصفو فيها النفس، وتخلص الروح، خير ميدان للتنافس على نفحات الفضل الإلهي والتسابق إلى فردوس التجليات العلوي، ونظم هذا التنافس، ورسم طريقه ليلة القدر التي جعلها الله سرًا بين هذه الليالي العشر، فكان الصائم إزاءها كالعاشق الذي يوقن بقدوم حبيبه، ولكنه لا يعلم الساعة التي يصل فيها، فتراه قليل الغمض دائم السهر، لهفان الفؤاد، كلما داعبت مخيلته محاسن حبيبه وأغرق في تذكره والتفكر فيه، فهو في كل ليلة من ليالي العشر الأواخر من رمضان، وكل ساعاتها يترقب ليلة القدر ليفوز بها. هذا ولا يقتصر استحباب الاعتكاف في المسجد على شهر رمضان، ولكنه سنة مؤكدة، وعبادة محببة في جميع أيام السنة ولا بد له من النية، والخلو من كل ما يحرم معه المكث في المسجد كالحيض والنفاس والجنابة، ويبطله طروء هذه الأشياء، ويقطعه الخروج من المسجد"[1].

(١) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

الحديث رقم (١٢٧١)

١٢٧١ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ اعْتَكَفَ أزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين (عائشة) – بهذا الحديث – عن عبادة الرسول ﷺ أثناء العشر الأواخر من رمضان، وقد أوضحت أنه كان حريصا علي سنة الاعتكاف حتى توفاه الله تعالي. وقولها: " ثم اعتكف أزواجه من بعده " والتعبير بالاعتكاف يوي بأهمية المعتكف عليه لأن الإنسان لا يعتكف إلا على النفيس لأن الاعتكاف يستنفد الوقت، وهو ثمين لا ينفق إلا فيما هو أنفس كما أن نسبة الاعتكاف إلى زوجاته يوحي باتصال شعاع النور في عقبه من آل بيته، وأمته لأنهم كانوا يقتدون به في كل ما يقوم به من بر، وطاعة لله رب العالمين. والفعل، والفاعل: " توفاه الله " يدلان علي أن الذي يعلم الآجال والأعمار ، ويتوفى الأنفس هو الله تعالي كما يدل هذا التركيب علي أن المصطفي ﷺ بشر، يجري عليه ما يجري علي البشر من حياة، وموت، وأكل وشرب، إلا أنه يوحي إليه. والله أعلم.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢/٥) ولفظهما سواء.

(٢) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٧٢)

١٢٧٢ - وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ في كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يؤكد هذا الحديث مضامين الأحاديث السابقة في بيان حرص المصطفي علي سنة الاعتكاف، بيد أن هذا الحديث قد أوضح أن النبي اجتهد في العبادة أكثر واعتكف " عشرين يوما ". وكأنه يعلم بنور الله أنه آخر معتكف له في رمضان فاجتهد ضعف ما كان يجتهد في غيره، وبين الفعلين " يعتكف، واعتكف " جناس يؤكد المعنى الذي يدور حوله الحديث، وهو اعتكاف رسول الله ﷺ عشرة أيام كل عام، واعتكافه عشرين في العام الذي قبض فيه، ولفظ الاعتكاف له دلالات مؤثرة في تصوير الانقطاع للعبادة بما يتخيله العقل من صلاة، وذكر وقراءة قرآن، وذكر العدد " عشر " و " عشرين " يعضد هذا الانطباع عن عبادة رسول الله ﷺ، وإخلاصه العمل لله تعالي.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٠٤٤).

(٢) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم ١٢٧٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من وسائل التربية: الاعتكاف:

لقد كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، والظاهر أنه كان يستمر على ذلك حتى توفاه الله، كما أنه ﷺ اعتكف عشرين يومًا في العام الذي قبض فيه، كما أن زوجاته رضي الله عنهن اعتكفن بعده، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعتكفون مع النبي ﷺ، وهذا مشهور لا يحتاج إلى تدليل أو إثبات، أي أن أحاديث الباب كلها عن الاعتكاف، والذي لاشك فيه أن له شقًا تعبديًا كبيرًا، لكنه من ناحية أخرى فيه شق تربوي لا يخفى، وعنصر تهذيب ظاهر:

أ - ففي الاعتكاف خروج من دائرة الحياة اليومية وتأثيرها الكبير على النفس وانشغالها ودورانها في حركة لا تتوقف من أجل تحصيل مصالح الدنيا ومنافع العيش، مما يجعلها تغفل عن المحاسبة والمراجعة والتعديل والإصلاح، لذا كان في الاعتكاف فرصة ذهبية لأن يراجع كل مسلم حياته فيرى نقاط الإجادة ونقاط التقصير والإهمال فيزيد من الأولى وينقص من الأخرى ما وسعه الجهد والطاقة.

ب - في الاعتكاف عزلة محمودة تتيح للإنسان أن يخلو بنفسه وأن يحادثها عن أمانيه وأحلامه الماضية التي لم تتحقق كما يخبرها عن آماله في المستقبل، ويدرس ذلك بتأنٍ وتؤدة، ويختار ما يستطيع أن يحققه، فيستدرك ما قد يكون فاته، ويعزم على ألا يفوته في المستقبل أن يرى آماله قد حققت في أرض الواقع.

ج - وفي الاعتكاف انشغال بما هو أهم وأجدى وأنفع للإنسان من قراءة القرآن وذكر الله وصلاة وقراءة عن أعلام الصحابة والسلف الصالح، وفي ذلك تعويد له لأن يكون ذلك عادة حياته وفي مختلف مراحلها، فيترك التوافه والصغائر والأمور غير ذي الجدوى أو ذات الجدوى القليلة، التي بتركها لا يكون هناك تأثير ملحوظ على مسيرة الإنسان في هذه الحياة.

د - والأهم مما سبق أن المعتكف يعتكف على طاعة الله ويقيم عليها مدة اعتكافه، فهو يعتكف في أحب الأماكن إليه سبحانه "المساجد"، ويقيم فيها على الطاعة والعبادة والابتهال

والخضوع والخشوع، فلا يكون همه إلا الله ولا مقصوده إلا إياه سبحانه، ولا مراده سواه عز وجل، وبحيث يخرج من الاعتكاف وقد اعتكف قلبه على طاعة الله فحسب، لا ينظر ولا يقصد ولا يبتغي أحدًا سواه، فيكون منيبًا إليه سبحانه، وفي ذلك يقول ابن القيم في كلمات مشرقة: (الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله.

ومن يعكف قلبه على الله وحده، عَكَفَ على التماثيل المتنوِّعة كما قال إمام الحنفاء [إبراهيم عليه السلام] لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[1] فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل وكان حظه العكوف على الرب الجليل.

والتماثيل جمع تمثال، وهي الصورة الممثلة، فتعلق القلب بغير الله واشتغاله به، والركون إليه، عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام، ولهذا كان شرك عبّاد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإراداتهم على تماثيلهم.

فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته، بحيث يكون عاكفًا عليها، فهو نظير عكوف الأصنام عليها، ولهذا سماه النبي ﷺ عبدًا لها، ودعا عليه بالتَّعس والنُّكس، فقال: ((تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ))[2])[3].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٨٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، وقال ابن حجر: قوله تعس بفتح أوله وكسر المهملة ويجوز فتحها وهو ضد: سعد. تقول تعس فلان: أي شقي ... وقوله (وانتكس) بالمهملة أي عاوده المرض... وقوله "إذا شيك فلا انتقش" شيك: بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها كاف، وانتقش: القاف المعجمة: والمعنى: إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها منه بالمنقاش تقول نقشت الشوك إذا استخرجته... وفي الدعاء بذلك إشارة إلى عكس مقصوده لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزًا عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا. فتح الباري ١٤١٧/٢، .

(٣) الفوائد ٢٧٧-٢٧٨.

ثانيًا - اغتنام الأوقات الفاضلة:

لقد كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان رجاء أن يوافق ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه كان يعتكف في رمضان الذي هو من أفضل الشهور ففيه نزل القرآن الكريم وهو شهر الصوم والصبر، ولذا كان ﷺ يجتهد فيه ما لا يجتهد في غيره ويجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره، كما أخبرت بذلك عنه زوجه عائشة رضي الله عنها[1] كما أخبرت رضي الله عنها أنه ﷺ ((إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ))[2]. فكان ﷺ في هذه الأحاديث وفي غيرها حريصًا أشد الحرص على اغتنام الأوقات الفاضلة التي هي مواسم في العمر والسنين، وعلى ذلك ينبغي على المربين أن يقتدوا به ﷺ، فهو المربي الأول، الذي تمكن من إقامة دولة ظهر فيها نماذج رائعة ممن تربوا على يديه وتعلموا من علمه وتخلقوا بأخلاقه، إن على المربين أن يكونوا هم أول الناس حرصًا على اغتنام الأوقات الفاضلة، حتى يكونوا قدوة لمن يقومون بتربيتهم، ويجمعوا مع ذلك غرس هذا السلوك الطيب في نفوسهم، وفي ذلك عدة منافع تربوية مهمة لهم، منها:

أ - توفير الجهد والطاقة وادخارهما للعمل في هذه الأوقات الفاضلة وملئها بالطاعات والعمل الصالح والنافع، وذلك لتحقيق أفضل النتائج وأحسن الإنجازات ولا يقتصر ذلك على أمور العبادة فحسب وإنما يشمل كذلك أمور الدنيا.

ب - تعويدهم النظام والترتيب والمنهجية في حياتهم وسلوكهم ومعاملاتهم فلا تسير حياتهم هكذا كيفما اتفق، وإنما ينظمونها ويرتبونها حسب الأوقات وفضائلها ومميزاتها، وبهذا تترسخ عادة التنظيم والترتيب في كل شؤون حياتهم بمختلف مراحلها.

ج - إيجاد مساحة معقولة للترفيه المباح واللهو المقبول الذي يساعد النفس على مواصلة مسيرتها في الحياة دون كللٍ ولا مللٍ ولا سآمة، فالنفس تحتاج إلى فترات من

---

(١) أخرجه مسلم ١١٧٥ بلفظ: كان رسول اله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤.

اللهو تعينها على المثابرة في مواطن العمل والجد والاجتهاد والأوقات الفاضلة، وفي هذا تطويع لوقت الفراغ لمصلحة وقت العمل والجد، لا العكس كما هو واقع ومحسوس في دنيا الناس، فتجد عملهم قليلاً ولهوهم كثيرًا وإنجازهم ضئيلاً وتفريطهم هائلاً.

ثالثًا - التربية بالقدوة:

كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فلما توفاه الله تعالى، اعتكف أزواجه من بعده، أي فعلن مثلما كان يفعل واعتكفن مثلما اعتكف اقتداءً به ﷺ، وفي هذا إشارة تربوية وبيان لأهمية التربية بالقدوة من خلال فعل أزواج النبي ﷺ وفي ذلك إحياء وبيان لهدي النبي ﷺ في الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان حتى يستمر تأثيره ﷺ كما كان أثناء حياته، وهذا يؤكد على أهمية اهتمام المربين بالتربية بالقدوة، وفضل الاقتداء بالنبي ﷺ.

ولعل من أبرز الأمور المؤثرة في الاقتداء ما يلي:

أ - الإخلاص في التربية بأن يُبتغى بها وجه الله ونيل رضاه، لأن الإخلاص هو الإكسير الذي يحفظ لتعاليم المربي الحياة فترات طويلة من الأزمان والأعمار، لأنها إذا خرجت منه ذهبت إلى القلوب فأحيتها من موات وإلى الأفئدة فأيقظتها بعد سبات، وإلى النفوس فأشعلتها حماسًا واتقادًا بعد جمود، أما بدون الإخلاص فمصير ذلك الموت والخمول والسكون.

ب - التضحية بالغالي والنفيس من الأوقات والأعمار والجهود والأموال في سبيل نشر القيم التربوية والمبادئ التهذيبية والمثل الأخلاقية والمناهج السلوكية، فإن شجرة التربية شجرة أصيلة راسخة تحتاج إلى جهد دؤوب وعمل متواصل وتضحية من أجل غرسها والعمل على تعهدها والعناية بها حتى تخرج وارفة يانعة جميلة الهيئة حلوة المذاق.

ج - الممارسة العملية التي تؤكد على التطابق بين القول والعمل، فإنه يعمل من أجل أهداف أسمى وأغراض أنبل، يحتاج تحقيقها إلى سنين عديدة، فلا يصرفه عدم رؤيته لنتائج عمله عن المواصلة والمثابرة، بل يزيده ذلك عملاً على عمل ومثابرة على مثابرة وتمسكًا على تمسك. إنه يعمل من أجل قضية حياته ووجوده.

د - التأسي برسول الله ﷺ الذي يستحق وصف المربي الأول الذي نجح في تربية أتباعه وتحويلهم تحويلاً كليًا من المراتب الدنيا من البداوة والتخلف إلى أقصى المراتب العليا من الحضارة والتقدم والإنسانية، فكان أحدهم مثالاً حيًا لما رباه عليه المصطفى ﷺ ومن شواهد ذلك في أحاديث الباب اقتداء نسائه به في الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، إنه ﷺ أقام دولة تربوية فريدة لم يكن لها سابقة في التاريخ ولن يكون لها مثيل أو ما يقارب هذا المثيل بعدها، لذا كان على المربي الناجح الذكي أن يتمثل تعاليم النبي ﷺ في تربيته، وينسج على منواله وينهج نهجه ويسير سيره حتى يحقق النجاح الحق له ولأتباعه.

رابعًا - العمل على تحسين الخاتمة:

لقد كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا، فكان في هذا استئناس لتحسين الخاتمة قبل الوفاة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، تحسينًا للعمل نفسه في هذا الشهر وختامًا له، "وإنما الأعمال بالخواتيم، ولهذا كان من الدعاء المأثور: اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك")[1].

إذن يمكن الاستئناس بأحاديث الباب على التربية على تحسين الخاتمة سواء خاتمة الأعمال أو خاتمة الحياة نفسها، وفي ذلك عدة فوائد تربوية مهمة جدًا، منها:

أ - تعويد الناشئة وغيرهم على الإتقان والإجادة في الأعمال سواء التعبدية أم الدنيوية، والإتقان والإجادة هي الخطوة الأولى للتقدم والازدهار، فبدونهما لا يكون هناك أمل في الحصول على ذلك.

ب - تقسيم الزمن والعمر إلى مراحل محددة كل مرحلة ينجز فيها ما يناسبها من أعمال وأفعال، فلكل وقت عمله ولكل زمن فعله، لا يجدر بنا تأخير العمل عن وقته

---

(١) الوقت في حياة المسلم، د. القرضاوي، ص ٢٤.

ولا الفعل عن زمنه، لأن في ذلك تكدسًا وتزاحمًا للأعمال والمسؤوليات والواجبات، مما يضيق الوقت والعمر جدًّا عن التخطيط لها فضلاً عن إنجازها.

ج - غرس روح الإنجاز الرائع في نفوس الناشئة وغيرهم، لأن كل يوم يعتبر خاتمة لعمر الإنسان، لأنه لا يدري وقت موته وزمن وفاته، فهو يعدّ يومه خاتمة عمره، فيدفعه ذلك إلى الإنجاز الرائع للأعمال، بحيث ينجزها على خير ما تكون وأفضل مما ينبغي، إن الإنسان لو وضع لعمل ما من الأعمال وقتًا محددًا لابد من إنجازه فيه، فإنه يسعى بكل طاقاته إلى الالتزام بذلك وعدم التأخر، فتنتفي من قاموسه اللغوي كلمات التسويف والتأجيل والمماطلة والإحالة ونحو ذلك من الآفات التي تضيّع أزهى الأوقات وأفضل الأعمار، ويشيع في قاموسه كلمات الإنجاز والفعل والمبادرة والمسارعة والتنظيم والتخطيط والتفعيل ونحو ذلك.

وهكذا الإنسان لو اعتبر أن كل يوم يعيشه هو آخر الأيام من عمره، فإن ذلك يدفعه إلى أن يكون من المنجزين الرائعين الذين تفخر بهم البشرية وتزهو.

د - وهذا يدفعه إلى أن ينشغل بالأفضل من الأعمال والأجود من الأفعال تاركًا وراء ظهره التوافه وصغائر الأمور التي لو سمح لها بالتأثير في حياته لضاعت هباءً وسدىً.

وعلى ذلك ينبغي أن تكون هناك تربية على تحسين الخاتمة.

